الأغراض البلاغية للتشبيه في القرآن الكريم والإفادة منها في تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية.

ELOQUENCE AND ANALOGIES AND HOW IT CAN BE APPLIED TO TEACH ARABIC TO NON-NATIVE SPEAKERS

الأستاذ المشارك الدكتور إسماعيل حسانين أحمد
كلية التربية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

الأستاذ المساعد الدكتور نيء محمد سيف العزيز بن نئ عبد الله
كلية التربية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

ملخص البحث

من المعلوم أن اللغات مهما اختلفت في رسمها، وأصواتها، ومدلولاتها، وثقافتها فإنها لا تخلو من مجازات لغوية ومجازات عقلية تستخدم في سياقات مختلفة تتسق مع المقام الذي يتم فيه الكلام. واللغة العربية تعتبر من أغنى اللغات الحية من حيث الترادف والاشتقاق، والأخيلة والتصوير، والإيحاء والتصريح. وغير ذلك من خصائص اللغة العربية التي توجت بكلام الله –تعالى –الذي هزّ بإعجازه وجدان العرب وحرك عقولهم، واستثار ما لديهم من فصاحة وبلاغة، متحدياً فصاحتهم وبلاغتهم، فوقفوا أمامه مشدوهين، عاجزين عن أن يأتوا بمثله ولو بآيةٍ واحدةٍ. مصداقاً لقوله تعالى: [قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] (الإسراء: 88). ومن ثَمَّ اتجهت الدراسات اللغوية منذ القرن الأول الهجري لفهم لغة القرآن ببلاغتها البيانية التصويرية، فنشأ بما يعرف بعلم البلاغة، وتصنيفه إلى معاني وبيان وبديع على أيدي علماء كرَّسُوا جهدهم لمعرفة أسرار بلاغة القرآن. ومن ثَمّ تتمحور المشكلة في

هذه الورقة حول تدريس جانب من جوانب علم البيان لغير الناطقين باللغة العربية تتمثل في التشبيه وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم، حيث إن تدريس البلاغة لغير الناطقين بالعربية مقتضبٌ جداً، كما أنه يدرس منقطعاً عن النص، مما يفقدها قيمتها الجمالية كما هو الحال في مناهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية الوطنية، وكذلك الثانوية الوطنية الدينية في ماليزيا، وكأن البلاغة علم قائم بذاته. وتهدف هذه الورقة إلى عرض جزئية من أجزاء علم البيان، ألا وهي التشبيه للوقوف على أغراضه البلاغية المتميزة في تشبيه المعقول بالمحسوس في الأوجه التالية: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه. 2) إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة. 3) إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها. 4) إخراج ما لا قوّة له في الصفة إلى ما له قوة فيها. ومدى الإفادة منها في تقريب المعاني العقلية من خلال تشبيهها بالمعاني المحسوسة عند تدريس اللغة لغير الناطقين بالعربية. وسوف تتبنى هذه الورقة المنهج التحليلي لعرض بعض الآيات المتضمنة تشبيهات تمثيلية لمعرفة الأغراض التوجيهية والدروس المستفاد منها. وعلى الله قصد السبيل.

الكلمات المفتاحية: الأغراض البلاغية، التّشبيه، الناطقون بغير العربية.

Abstract:

It is known that any language, no matter how they are discordant in writing, sound, denotations or culture, cannot be void of linguistic or intellective metaphorical meanings, used in various contexts in accordance with the situation that is taking place. Arabic language is one of the richest in synonyms, derivation, imaginations, depiction, connotations and denotation. Arabic Language with many more characteristics is culminated with Allah's Speech, the Qur'an that shakes with its eloquence the feelings, minds of the Arabs, and agitated their sense of language attraction. They were unable to imitate even one verse. Therefore, the language studies in the first century focused on how to comprehend the Holy Quran's manner of speaking in its eloquence and grand style of depiction. And the eloquence and phrasemaking studies emerged and is categorized into three groups: semantics, rhetoric and elegance by scholars who dedicated their endeavors to know the secret of the Holy Quran's eloquence. This paper aims to exhibit one aspect of Eloquence science that will be represented by the simile and its rhetoric purposes in the Qur'an for non-speakers of Arabic who are taught in a short manner and without a textual context. This is the case in Arabic curricula of the national secondary schools, and the national religious secondary schools in Malaysia, as if Rhetoric is an independent science. This paper concentrates on a part of Rhetoric which is the study of simile and highlight its purposes of assimilating the sensible with the tangible in the following aspects: making what is insensibly applicable to be sensibly applicable, making what is customarily uncommon common, making what is not known by intuition to be intuitively known, and making what is not strong with attributive to be strong with it. The focus here is t find to what extent we can use the tangible to explain the intangible when teaching Arabic the non-speakers of it. However, the paper will employ analytical method in displaying the Holy Quran's versions that contains exemplary assimilation to know its instructive purposes and the lessons, which can be learnt from it.

Keywords: Eloquence, Analogies, non-native Arabic speakers

تقديـــم

من المسلم به أن اللغة العربية أغنى اللغات الحية من حيث الترادف والاشتقاق، وتنوع الأساليب، والأخيلة والتصوير، والإيحاء والتصريح، وغير ذلك من خصائص اللغة العربية التي توجت بكلام الله تعالى. هذه اللغة الغنية تحتاج في فهم كنهها إلى جهد كبير، ودراسة عميقة من حيث البنية اللغوية –المعجمية والصرفية والنحوية–، والتركيب اللغوي– الدلالة، والأسلوب، والمحتوى–، والحقيقة والمجاز اللغويين، وما يترتب عليهما من أخيلة، وصور، وأحاسيس، ومشاعر لدى السامع أو القارئ، أو المتحدث. وقديما كانت تؤخذ بالسماع في بيئتها الأصلية، ولم يكن أصحابها في حاجة إلى دراسة، حيث إن قرائحهم اللغوية تترجم لهم مراداتها ودلائلها، ولم يكن بينهم من لا يعرف العربية فيحتاج إلى تعلم. وظل الحال على ما هو عليه حتى النصف الأول تقريبا من القرن الأول الهجري حين ارتأى الغيورون على اللغة العربية أن الكثير من الأعاجم دخلوا في الإسلام، وبدأ اللحن يتسرب إلى لغة القرآن، فما كان من الساسة وأولي الأمر إلا أن يمنعوا اللحن من التسريب إلى اللغة العربية؛ فأمروا بتقعيد اللغة لضبطها والحفاظ عليها من

اللحن، فتم تقعيد اللغة في القرن الأول الهجري، ثم توالت الدراسات اللغوية في مدرستي البصرة والكوفة في القرنين الثاني والثالث الهجريين. ومنذ ذلك الحين والدراسات اللغوية تنمو وتتطور وتتفرع، ونشأ عن هذا التفريع ما نعرفه اليوم من فروع اللغة مثل: النحو والصرف، والأدب والبلاغة والنقد وغيرها من المسميات اللغوية الأخرى.

نشأة البلاغة وتطورها

البلاغة لا تنفك عن اللغة، تسير معها حيث تسير، تضفي عليها رونقا وجمالا، وتصويرا فنيا جذاباً، وتحسينات بديعية تهز الوجدان وتغزو المشاعر. فالبلاغة نشأت بشكل فطري عند العرب لسليقتهم العربية وفطرتهم اللغوية الصافية، ويؤكد ذلك الأدب الجاهلي، والمجالس الأدبية التي كانت تقام في الأسواق لعرض الأعمال الأدبية والاحتكام فيها[1]. ولما جاء القرآن الكريم بلغته المعجزة ظهر الكثير من الدراسات القيمة التي حاولت فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي[2]. فالبلاغة ليست منفصلة عن اللغة، وليست علماً قائماً بذاته، وإنما هي سِمةً من سمات اللغة الراقية – الكلام المنظوم أو المنثور–تُدرك بالحسّ المرهف، والذوق الرفيع لدى السامع أو القارئ[3].

ماهية البلاغة

بالنظر إلى اللغة من حيث التركيب نجد أنها تتجذر في مكونات ثلاث: حروف وأسماء وأفعال، ومن هذه الثلاثة معاً يتكون الكلام؛ جيده أو رديئه، حسنه أو قبحه، بساطته أو تعقيده، هذه الصفات تتوقف على مدى الذوق اللغوي للسامع أو القارئ. ومن هنا يمكن القول بأن "*البلاغة ليست قضايا وأحكاماً وتعريفات وقواعد، وإنما هي إدراك فنيّ لما في النصوص الأدبية من جمال الفكرة وجمال الأسلوب، إدراكاً يقوم على فهمها وتحليلها وتفصيل عناصرها، ومعرفة بواعثها واستشعار تأثيرها، وتذوق جمالها، والحكم بالقوة أو الضعف، وبالوضوح أو التعقيد...إلخ*" [4].

وسميت البلاغة بلاغة لأن المتكلم –شعرًا كان كلامه أو نثراً– يبلغ بكلامه أقصى ما يمكن الوصول إليه لمقتضى الحال التي أمامه من خلال التركيب اللغوي الذي يعبر به[5]. وهذا ما أثبته العسكري في كتاب الصناعتين: "*البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها .ومبلغ الشيء منتهاه. والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه*" [6].

فالبلاغة كسمة من سمات اللغة موجودة منذ أن عرف الإنسان العربي التعبير عن مكنونه بالكتابة أو الخطابة. لكن كعلم يُدرس ويصنف إلى معانٍ وبيان وبديع فلم ينشأ إلا في القرن الثالث الهجري مع الجاحظ (159-255هـ) في كتابه البيان والتبيين. ثم تطورت الدراسات البلاغية في القرنين الرابع والخامس الهجريين على يد نفرٍ من علماء البيان أمثال: أبو الحسن القاضي الجرجاني (322-392هـ)، وأبو هلال العسكري (ت 395 هـ)، وأبو

[1] المبارك، مازن (1968، ط1). الموجز في تاريخ البلاغة. بيروت: دار الفكر، صـ 23-24.

[2] للمزيد انظر: الهاشمي والزاوي (2005). تدريس البلاغة العربية؛ رؤية نظرية تطبيقية محوسبة. عمان: دار المسيرة. صـ 117.

[3] للمزيد راجع: حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد (2014م). استثمار اللغة العربية في تذوق بلاغة القرآن الكريم "دراسة تحليلية لنماذج من الآيات القرآنية" بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، 7-10 مايو 2014م، دبيّ، الإمارات العربية المتحدة. المجلد السابع صـ 555.

[4] الهاشمي والعزاوي (2005). صـ119.

[5]. راجع لسان العرب لابن منظور: مادة "بلغ"

[6] أبو هلال العسكري (د.ت). كتاب الصناعتين، صـ6، نسخة إلكترونية :PDF

الحسن الرماني (296–386هـ)، والإمام عبد القاهر الجرجاني (400– 471هـ)، ومنذ ذلك الحين والدراسات البلاغية أخذت اهتماما بالغاً من علماء اللغة والتفسير، وكان الهدف منها هو دراسة لغة القرآن الكريم، وما تضمنته من إعجاز هزّ وجدان العرب وحرك عقولهم، واستثار ما لديهم من فصاحة وبلاغة، متحدياً فصاحتهم وبلاغتهم، فوقفوا أمامه مشدوهين. ويشير إلى ذلك أبو هلال العسكري بقوله[7]: " *وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلِمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها...*". ويؤيد ذلك ما روي عن المغيرة بن شعبة عندما استمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن الكريم، فقال: "*والله لقد سمعت من محمد كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق....*"[8]

ومما ذُكر عن الجاحظ في معرض كلامه عن البلاغة قوله: " *ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة، والأشعار الرائقة ما عملت لإفهام المعاني فقط؛ لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام، وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه، وبديع مباديه، وغريب مبانيه على فضل قائله، وفهم منشئه. وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني. وتوخي صواب المعنى أحسن من توخي هذه الأمور في الألفاظ*"[9].

وأيضا ما أورده عبد الرحيم (2014م) عن عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للبلاغة، أنها: "*وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها، ثمّ تتبّجها في صورة أبْهَى وأزيْن، وآنق وأعجب، وأحق أن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ من ميل القلوب*"[10]

فبلاغة اللغة–المكتوبة، والمقروءة، والمسموعة–ليست إلا حِلْية يُتوَّج بها الكلام ليطابق مقتضى الحال. وهذا لا يدركه إلا من كان على دراية باللغة العربية–نحوًا وصرفاً، ومعنىً ومغزىً–أما الدارسون الذين لم يطلعوا على تراث اللغة العربية، وما بها من صور وأخيلة وأساليب مكسُوَّة بلآلئ تشرئبُّ لها العقول والقلوب، لا يستطيعون إدراك ما يرمي إليه المتحدث أو الكاتب من معنى أو مغزى. وقد أقر ذلك بعض من كتبوا في تدريس البلاغة للناطقين بالعربية، أذكر على سبيل المثال (عمار 2002م) [11]حيث يقول: " *إن تدريس البلاغة ليس مقصودا لذاته، إنما هو وسيلة لغاية أسمى: هي تربية ملكة الذوق لدى الطلاب وتنميتها وتطويرها؛ لتعينهم على تذوق الأدب والاستمتاع به، وتمييز غثه من ثمينه؛ وتوسيع أفقهم الفني وخيالهم الأدبي، فيستشعروا الجمال، ويدركوا مواطن الإبداع...*" أما (سمك

[7] أبو هلال العسكري، ص6

[8] للمزيد راجع: محمد، عاطف فصل (2011). البلاغة العربية. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. ص20. أيضا راجع: شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة: دار المعارف. ص9

[9] للمزيد رجع: جمعي، الأخضر (2001). اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب. دمشق: من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 100.

[10] عبد الرحيم، علي يحي نصر (2014م). نحو توظيف لمفاهيم البلاغة العربية في الدعاية والإعلان. بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، 7–10 مايو 2014م، دبيّ، الإمارات العربية المتحدة. المجلد الثاني ص 479.

[11] عمار، سام (2002). اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص219.

1979م)[12] فيقول: " *الرأي في البلاغة أنها ليست علما يقصد بدراسته تثقيف العقل، ونضوج الفكر .... وهي ليست من الموادّ التي يعتمد في درسها على القياس العقلي والتصور المنطقي. ولكنها فنّ متصل بالأدب اتصالاً وثيقاً، وإدراكها إنما يقوم على أساس التذوق والحسّ...*"، وفي معرض كلامه عن أغراض تدريس البلاغة، فإنه يرى أن من أهداف تدريس البلاغة: "*تنمية الذوق الأدبي للطلاب، وإرهاف إحساساتهم ومشاعرهم، وإذكاء تذوقاتهم الفنية، وإقدارهم على فهم الأدب فهماً دقيقاً، ومعرفة خصائصه ومزاياه البلاغية .... وتبصيرهم بالأساليب المختلفة، وكيف تؤدى الفكرة الواحدة بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عن طريق الحقيقة والمجاز، وكيف يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال وكيف يعمد البلغاء إلى تزيين كلامهم بالمحسنات اللفظية منها والمعنوية، ليزداد بها روعة وجمالاً* ".

نستخلص من هذا أن البلاغة ليست علماً قائماً بذاته، وإنما تظهر في النصّ، وما يتخيره صاحب النص من كلمات تفي بمقصده من القول، فصيحاً كان أم غير فصيح. ويمكن القول بأن البلاغة تعني قدرة الإنسان على التعبيرعن أفكاره، وأحاسيسه، وعواطفه بأسلوب أدبي رفيع، فضلاً عن تنمية قدرته على تذوق ونقد وتقويم الأعمال الأدبية المختلفة، والمفاضلة بينها.

تقسيم البلاغة إلى مفاهيم ثلاثة

جرى العرف بين البلاغيين على تقسيم البلاغة إلى أقسام: قسم منها يتناول المعاني، وقسم يتناول البيان، والقسم الثالث يتناول البديع، وأطلقوا عليها علوم البلاغة لأن كل قسم منها يتناول اللغة من جانب معين كما يلي[13]:

علمُ المعاني: هو علمٌ يعرَفُ به أحوال اللفظ العربيّ التي بها يطابقُ مقتضَى الحال. ويبحث في الأساليب الخبرية والإنشائية، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة.

علمُ البيان: هو علمٌ يعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفةٍ في وضوحِ الدلالة عليه. ويبحث في التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز.

علمُ البديع: وهو علمٌ يعرَف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعايةِ تطبيقه على مقتضَى الحال ووضوحِ الدلالة. ويشمل الطباق والمقابلة والسجع، وحسن التقسيم، والالتفات، والمدح بما يشبه الذم وعكسه، والتورية، وبراعة الاستهلال، والاقتباس وغير ذلك من المحسنات.

واقع تدريس البلاغة عموما؟

بعد الاطلاع على العديد من الدراسات التي تتعلق بتدريس البلاغة العربية للناطقين باللغة، وجدت أن البلاغة تُدرّس منفصلة عن الأدب وبصورة سطحية جداً. وهناك– وفقاً لتلك الدراسات–شكاوى عديدة من طلبة المدارس والجامعات–في العديد من الدول العربية–حول صعوبة مقررات البلاغة، وعدم استيعابهم لها، فضلاً عن عدم إدراكم للحس الوجداني للنص الأدبي، أو إدراك الصورة الفنية التي تضمنها الكلام.

[12] سمك، محمد صالح (1979). فنّ التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص 801–803.

[13] يرجى الرجوع إلى الهاشمي والعزاوي (2005). تدريس البلاغة العربية. عمان: دار المسيرة، صـ 127.

من هذه الدراسات:

دراسة عايش، (2003م)[14]. بعنوان " **صعوبات تعلّم البلاغة لدى طلبة قسم اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية بغزة وبرنامج مقترح لعلاجها**" هدفت هذه الدراسة إلى تحديد صعوبات تعلّم البلاغة لدى طلبة قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بغزة، واقتراح برنامج لعلاج تلك الصعوبات. ولإجراء هذه الدراسة؛ اختارت الباحثة عينة من طلبة شعبة اللغة العربية، المستوى الرابع، وعددهم 63 طالبا وطالبة، وهم الطلبة الذين يفترض أن يكونوا قد أتمّوا دراسة مباحث البلاغة الثّلاثة (المعاني، البيان، البديع) ووصلوا إلى درجة التذوق الأدبي للأعمال الأدبية، وتوظيف هذه المساقات في الحكم على العمل الأدبي ونقده. وأجرت عليهم اختبار تشخيصي لتحديد الصعوبات البلاغية التي يواجهونها، ومن ثم اقتراح برنامج تعليمي لعلاجها. وتوصلت في دراستها إلى أن الطلبة يجدون صعوبة كبيرة تمثلت في علمي البيان والبديع، خصوصا "اللف والنشر، والالتفات، والتجريد، والمشاكلة، والاستعارة". وقد أوعزت الباحثة تلك الصعوبات إلى المادة نفسها، حيث اشتملت على قواعد جافة، وقوانين مجردة تمنع الطالب من فهمها واستيعابها بشكل جيد–على حد قولها.

دراسة العتيبي (2006م)[15]. "**واقع الأداء التعليمي لمعلمات مقرر البلاغة في المرحلة الثانوية للبنات**". هدفت هذه الدراسة إلى تحديد المهارات اللازمة لتدريس البلاغة في المرحلة الثانوية والمتصلة بمرحلة إعداد الدروس وتنفيذها، وتقويم أداء التلميذات في تحصيلها. ولإجراء هذه الدراسة؛ اختارت الباحثة عينية مكونة من 80 معلمة من معلمات اللغة العربية، اللائي يدرّسن مقرر البلاغة في المدارس الثانوية للبنات في الرياض، المملكة العربية السعودية. وتوصلت في دراستها إلى: تدني ممارسة المعلمات لمعظم مهارات تدريس البلاغة في جوانبه الثلاثة: الإعداد والتنفيذ والتقويم. واستنتجت من هذا أن تدني ممارسة المعلمات لمهارات التدريس يؤدي إلى تدني تحصيل الطالبات لمادة البلاغة.

دراسة فندي وعلي (2012م)[16]. "**أثر استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب المفاهيم البلاغية لدى طالبات المرحلة الإعدادية**" هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب المفاهيم البلاغية لدى طالبات المرحلة الإعدادية. ولأجراء هذه الدراسة اختارت الباحثتان المنهج التجريبي، واختارتا عينة من مدرسة أم حبيبة للبنات في بعقوبة بمحافظة ديالي، بلغ عددها (55) طالبة، تم توزيعها على مجموعتين، تجريبية وضابطة، بواقع 29 طالبة للمجموعة (أ) التجريبية، و26 طالبة للمجموعة (ب) الضابطة. وقد توصلت الدراسة إلى أن خرائط المفاهيم أثبتت فاعليتها في ا كتساب طالبات الصف الخامس الأدبي المفاهيم البلاغية موازنة مع الطريقة التقليدية. وأن خرائط المفاهيم تنمّي القدرة لدى المتعلم على تعريف أغلب المفاهيم البلاغية، وتميزها وتطبيقها بشكل أفضل من الطريقة التقليدية. يشجع

[14] عايش، أمنة محمود أحمد (2003م). صعوبات تعلم البلاغة لدى طلبة قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بغزة وبرنامج مقترح لعلاجها. رسالة ماجستير في مناهج وطرق تدريس اللغة العربية، كلية التربية بالجامعة الإسلامية –غزة.

[15] العتيبي، سارة سيف (2006م). واقع الأداء التعليمي لمعلمات مقرر البلاغة في المرحلة الثانوية للبنات. رسالة ماجستير في طرق تدريس اللغة العربية. كلية التربية بجامعة الملك سعود.

[16] فندي، أسماء كاظم، وعلي، أسماء حسن (2012). أثر استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب المفاهيم البلاغية لدى طالبات المرحلة الإعدادية. بحث منشور في مجلة "الفتح" العدد الخمسون، آب لسنة 2012م، ص 1-46.

التدريس باستخدام خرائط المفاهيم الطالبات على حرية إثارة الأسئلة، وإبداء الآراء والمشاركة الفعالة في الدرسّ ، ويعدّ ذلك مؤشرا للحصول على تعزيز يدفعهن للتعلّم، مما يزيد الثقة بالنفس للتعبير عن الأفكار والآراء من دون خوف أو تردد أو ارتباك.

دراسة محسن والإبراهيمي (2013م)[17]. "**أثر استراتيجية العصف الذهني في تدريس مادة البلاغة والتطبيق**". هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر استراتيجية العصف الذهني في تحصيل طلاب الصف الخامس الإعدادي؛ الفرع الأدبي في مادة البلاغة والتطبيق. ولإجراء هذه الدراسة؛ اختار الباحثان عشوائيا شعبتين للصف الخامس الأدبي، واحدة تجريبية والأخرى ضابطة. إذ كانت شعبة

(أ) المجموعة الضابطة التي درس طلابها مادة البلاغة والتطبيق من دون التعرض للمتغير المستقل، في حين مثلت شعبة (ب) المجموعة التجريبية التي تعرض طلابها إلى المتغير المستقل (العصف الذهني) في تدريس مادة البلاغة والتطبيق، وقد بلغ عدد طلاب الشعبتين(60) طالبا، بواقع (30) طالبا لكل شعبة. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة: أن استراتيجية العصف الذهني تؤدي إلى الارتقاء بمستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب الصف الخامس الإعدادي عندما تُستخدم في تدريس مادة البلاغة والتطبيق، حيث تفوّق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة. إنّ استراتيجية العصف الذهني تثير اهتمام الطلاب وتجعلهم أكثر قدرة على فهم البلاغة وتذوّقها، مما يكون لها الأثر الواضح في إقبال طلاب المرحلة الإعدادية على تعلّمها.

دراسة البكري (2013م)[18]. "**أثر تدريس البلاغة بالفريق على مستوى الأداء البلاغي لدى طالبات الصف الأول الثانوي**". تمثلت مشكلة الدراسة في ضعف مستوى الأداء البلاغي لدى طالبات المرحلة الثانوية بعامة، وفي الصف الأول من هذه المرحلة بصفة خاصة، ويعزى هذا إلى الأساليب المتبعة في تدريس البلاغة. وهدفت الدراسة إلى تعرف أثر تدريس البلاغة بالفريق في تنمية مستوى الأداء البلاغي لدى طالبات الصف الأول الثانوي بمدارس الرياض. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة : أن استخدام التدريس بالفريق قد عمل على تهيئة مناخ تعليمي ملائم يسوده التعاون بين أفراد الصف، مما شجع الطالبات أثناء المواقف التعليمية، وإقبالهن على تعلم الموضوعات البلاغية، وتنفيذ الأنشطة بحماس وفاعلية. كما وجدت الدراسة أن الطريقة المعتادة في تدريس البلاغة قد تكون سببا من أسباب نفور الطالبات من مادة البلاغة، ومحدودية تحصيلهن لها، حيث تتسم بالرتابة وعدم التجديد والابتكار.

يتبين من الدراسات المذكورة أعلاه أن الطلبة الذين شملت الدراسة يعانون من مشكلات ثلاث في تعلّم البلاغة، هذه المشكلات تتمثل في: المنهج المقرر، والمعلم الذي يدرس المنهج، والطريقة التي تعرض بها البلاغة.

[17] محسن، شكري عز الدين، والإبراهيمي، مكي فرحان كريم (2013م). أثر استراتيجية العصف الذهني في تدريس مادة البلاغة والتطبيق. مقال منشور في مجلة الكوفة، العدد التاسع والعشرون/ 2013م، ص 182-208.

[18] البكري، فهد بن عبد الكريم (2013م). أثر تدريس البلاغة بالفريق على مستوى الأداء البلاغي لدى طالبات الصف الأول الثانوي. بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والنفسية. المجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2013، ص 173-202. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض: المملكة العربية السعودية

تدريس البلاغة في التعليم الثانوي الماليزي

البلاغية التي يدرسها الطلاب الماليزيون في المرحلة الثانوية عبارة عن نماذج بسيطة جدا، وتدرس منفصلة عن أي نصوص أدبية. ويبدأ تدريسها من السنة الرابعة الثانوية، ويتضمن المنهج – اللغة العربية للسنة الرابعة–المفاهيم البلاغية الآتية: البلاغة وعلومها، أركان التشبيه وأنواعه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة، المجاز المرسل. أما في السنة الخامسة فيتضمن المقرر –اللغة العربية للسنة الخامسة– المفاهيم الآتية: الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي، السجع، الجناس، الاقتباس، الطباق، المقابلة[19]. أما مقررات البلاغة للثانوية الدينية، فهي مقررات موضوعة لدارسين ناطقين باللغة العربية، مثل مفتاح البلاغة، والبلاغة الواضحة، وهذا لا يتناسب مع طلبة ناطقين بغير العربية، فضلاً عن أنهم، في تلك المرحلة، لم يدرسوا الأدب العربي دراسة كافية تؤهلهم لإدراك جماليات اللغة، والتذوق الفني للنصّ المدروس.

لذلك تتمحور المشكلة في هذه الورقة حول تدريس جانب من جوانب علم البيان لغير الناطقين باللغة العربية تتمثل في التشبيه وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم، حيث إن تدريس البلاغة لغير الناطقين بالعربية مقتضبٌ جداً، ويُدرَّس مُنقطِعاً عن النص، مما يفقد البلاغة قيمتها الجمالية، كما هو الحال في مناهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية الوطنية، وكذلك الثانوية الوطنية الدينية في ماليزيا، وكأن البلاغة علم قائم بذاته.

كما تهدف الورقة إلى معرفة جزئية من جزئيات التشبيه وأغراضه البلاغية عند تشبيه المعقول بالمحسوس كما ورد في القرآن الكريم. وكيفية الإفادة منها في تدريس البلاغة لغير الناطقين بالعربية.

ولنبدأ بتعريف موجز للتشبيه وأركانه وأقسامه وأغراضه.

التشبيه :أسلوب يقوم على عقد مقارنة أو مماثلة بين شيئين أو أكثر اشتركا في صفة واحدة أو صفات متعددة، وهذه المقارنة إنما تعقد بواسطة الأداة التي تربط المشبه والمشبه به. وهذا يعني إلحاق المشبهِ بالمشبهِ به لتوضيح الصفة الموجودة في المشبه من خلال تلك المقارنة؛ لأن الصفة تكون في المشبه به أقوى.

أركان التشبيه:

المشبّه . وهو الشيء الذي يُراد تشبيهه.

المشبّه به . وهو الشيء الذي يُشبَّه به بين الطرفين.

وجه الشّبه . وهو الصفة المشتركة بين الطرفين، ويجب أن تكون الصفة في المشبّه به أقوى وأشهر منها في المشبّه.

ثمّ **أداة التّشبيه،** وهي إما **حرف** (الكاف وكأنّ) وإما **فعل** (ماثل –شابه –حاكى–ضاهى–ضارع–والمضارع لهذه الأفعال) وإما **اسم** (مثل–شبه–مماثل–مشابه–مضاهٍ) ونحو ذلك[20].

[19] راجع كتب اللغة العربية المقررة على طلبة الثانوية الوطنية الماليزية، وهي سلسلة مكونة من خمسة كتب: اللغة العربية للسنة الأولى، واللغة العربية للسنة الثانية، واللغة العربية للسنة الثالثة، واللغة العربية للسنة الرابعة، واللغة العربية للسنة الخامسة. مقررات السنوات الثلاث الأولى تخلو من المفاهيم البلاغية.

[20] للمزيد يرجى الرجوع إلى: أبو العدوس، يوسف (2007). التشبيه والاستعارة؛ منظور مستأنف. عمان: دار المسيرة، صـ 45–46.

أقسام التّشبيه

للتشبيه أقسام عديدة باعتبار الأداة ووجه الشبه، وباعتبار طرفيه، فتقسيمه من حيث الأداة ووجه الشبه ينقسم إلى:

تشبيه مرسل، وهو ما ذُكرت فيه الأداة.

تشبيه مؤكّد، وهو ما حُذفت منه الأداة.

تّشبيه مجمل، وهو ما حُذف منه وجه الشّبه.

تشبيه مفصّل، وهو ما ذكر فيه وجه الشّبه.

تشبيه بليغ، وهو ما حُذفت منه الأداة ووجه الشّبه.

تشبيه ضمني، وهو الذي لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في أي صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، ويفهمان من المعنى.

تشبيه التمثيل، وهو ما كان فيه طرفا التشبيه صورتين مركبتين تتشابه فيهما الأوان والأشكال، ويكون وجه الشبه صورة مركبة منتزعة من تلك الأشكال والألوان[21].

أما أقسامه باعتبار طرفيه من حيث الحسية والعقلية فينقسم إلى أربعة أقسام[22]:

أن يكون الطرفان حِسِّيَّيْن
أن يكونا عقليَّين
أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيًّا
أن يكون المشبه حسياً والمشبه به عقلياً

أغراض التّشبيه

أغراض التّشبيه كثيرة، منها ما يأتي:

بيان مكانة المشبّه: وذلك حين يُسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر شبيه له. كقول المتنبي يمتدح الخليفة: "فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأَنْتَ مِنهُم ... فإنَّ المسكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ".

ب-بيان **حال المشبه:** وذلك حينما يكون المشبّه غير معروف الصفة قبل التّشبيه، فيعطيه التشبيهُ الوصفَ. مثل: {كأنَهُمْ حمرٌ مُسْتَنْفِرَة. فَرَّتْ مِن قَسْوَرة}

ج-بيان **مقدار حال المشبه:** وذلك إذا كان المشبّه معروف الصفة قبل التّشبيه معرفة إجمالية، وكان التّشبيه يُبيّن مقدار هذه الصفة. كقوله تعالى {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}

د-تزيين **المشبّه:** وذلك بتحسينه وتجميله، وإظهاره في صورة ترغبها النفس. مثل قوله تعالى: {وحورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُون}

هـ-**تقبيح المشبه:** وذلك بإلحاقه بمشبه به قبيح مكروه. مثل قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}، (الصافات: 64-65).

جودة التشبيه

يرى أبو هلال العسكري أن أجود التشبيه ما يقع على أربعة أوجه فيقول:

"وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه[23]:

[21] المرجع السابق. ص 47-48.

[22] الخطيب القزويني (2003). الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع. تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ص 168-170.

[23] أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين (نسخة إلكترونية في دي إف على الموقع التالي: PDF: www.al-mostafa.com) ص 158-159. وأيضاً: أبو العدوس، يوسف (2007). التشبيه والاستعارة. عمان، دار المسيرة. ص 86-87.

أحدها :إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه؛

والوجه الآخر إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة،

والوجه الثالث :إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها؛

والوجه الرابع :إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوّة فيها"[24].

وهذه الأوجه الأربعة هي التي ستركز عليها هذه الورقة، باختيار أمثلة من القرآن الكريم لإبراز جودة التشبيه وبلاغته في تقريب المعاني العقلية من خلال تشبيهها بأمور بادية للعيان، أو أمور معتادة لدى الناس، أو أمور بدهية يدركها الجميع.

الوجه الأول: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه، هذا النوع من التشبيه يتمثل في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (النور: 39-40).

المشبه: هيئة أعمال الكفار وقد بدت لهم في صورة جميلة لكنها في الحقيقة با طلة لا ثواب لها يوم القيامة.

المشبه به: صورة السراب اللامع في صحراء واسعة يظنه الرائي الظمآن ماء، فيجهد نفسه في طلبه ليروي ظمأه، فلا يجد شيئا مما كان يرى.

وجه الشبه: بطلان المتوهم مع شده الحاجة إليه، وعظم الفاقة، والحسرة في النفوس على فوات المأمول.

نوع الشبيه: تمثيلي

فأعمال الكفار شيء معنوي-المقصود ليس الأعمال في حد ذاتها بل جزاء الأعمال-لا تقع عليه أي حاسة من الحواس الخمس، وقد شُبِّهَت بالسراب الذي يدرك بحاسة البصر، وهو عبارة عن ماء وهمي تسببه حرارة الشمس، فيظهر للإنسان وكأنه ماء حقيقي، لكن لا يمكن الوصول إليه ولا الحصول عليه. فالتشبيه في هذه الآية الكريمة أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، والمعنى الذي يجمع بينهما بطلان المتوهم من شدة الحاجة إليه. فالظمآن يحتاج إلى الماء ليروي ظمأه، والإنسان يحتاج إلى عمله لينقذه من العذاب، فالكافر بربه يعمل أعمالاً كثيرة لكنه لا يتحصل منها شيئا ينفعه كالظمآن الذي يرى الماء أمامه لكنه لا يتحصل عليه لأنه سراب. ومثل هذا في الآية الثانية: "أو كظلمات في بحر لجي ...." حيث شبه أعمال الكفار بالظلام الدامس الناتج عن تراكم السحب بعضها فوق بعض بحيث لا يرى الشخص حتى يديه. والجامع بين أعمال الكفرة وبين الظلام هو الهلاك، فكما أن الكافر في أشدّ الحاجة إلى عمله لينقذه من العذاب، فكذلك الغارق أو السابح في لجج البحر وسط الظلام لا يرى شيئاً ولا يعرف له وجهة، يكون في أشدّ الحاجة إلى من ينقذه فلم يجد.

[24] هكذا أيضا وردت في رسالة الرماني في إعجاز القرآن. والرماني (ت 386هـ) كان مزامناً للعسكري (ت 395)، فلا أدري هل كان هذا بمحض الصدفة، أم أن أحدهما نقل عن الآخر دون الإشارة إليه؟ للاطلاع يرجى الرجوع إلى كتاب العسكري المذكور أعلاه، وكتاب" ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام. دار المعارف بمصر: 1976م، ص 81.

وكذا قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} (إبراهيم: 18). شُبّهت أعمال الكفار، عقلية، بالرماد الذي تُخلّفُه النار، وهو حسي، عندما تأتي الريح تنسفه معها لخفته فلا يبقى له أثر. فكأن أعمالهم تذهب هباء كما يذهب الرماد مع الريح. والمعنى الجامع بينهما عدم بقاء الأثر في كلٍّ.

والوجه الثاني: إخراج ما لم تجْرِ به العادة إلى ما جرت به، ومنه قوله تعالى : {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (يونس : 24).

المشبه: حال الدنيا في إقبالها على الإنسان في صورة جميلة فاتنة، ثم ما تلبث أن يزول جمالها وتضمحل بهجتها ثم تفنى.

المشبه به: حال النبات يغذيه الماء النازل من السماء فيخضرّ ويزدهر ثم يثمر ثم يصير إلى هشيم.

وجه الشبه: الهيئة الحاصلة من حسن وبهجة وزينة، يعقبه تلف وفناء.

نوع التشبيه: تمثيلي

فالمشبه وهو حال الدنيا وزينتها أمر معنوي غير اعتيادي، أي لم تجْرِ به العادة عند الناس، أما هطول المطر وما يترتب عليه اخضرار الأرض من نباتات وزروع وأشجار تزدهر ثم تذبل وتنتهي، فهو أمر اعتاده الناس. هذا التشبيه التمثيلي أخرج مالم تجرِ به العادة إلى ما جرَتْ به .والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك، وفيه العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تذكّر.

ومثله قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} (الحديد: 20). والجامع بين الأمرين الإعجاب، ثم سرعة الانقلاب، وفيه الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها.

والوجه الثالث :إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها، مثل قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة:5).

المشبه: حال الذين كلفوا بالتوراة والعمل بما جاء فيها فقرأوها ثم لم ينتفعوا بها.

المشبه به: حال الحمار الذي يحمل على ظهره الأسفار ولا يدري ما ذا يحمل.

وجه الشبه: الجهل بالمحمول

نوع التشبيه: تمثيلي

شبه حال الذين كُلِّفوا بالعمل بالتوراة فقرأوها وحفظوها ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بها–وهو أمر لا يعرف بالبديهة–شبه حالهم بحال الحمار الذي يحمل على ظهره أسفارا من العلم وهو لا يدري ما الذي يحمله فوق ظهره. وهذا أمر مدرك بداهة. فالجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول.

ومن ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت:41). فالجامع بين الأمرين ضعف المعتمد، والفائدة التحذير من حمل النفس على التغرير بالعمل على غير أساس.

والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوّة فيها، كقوله عز وجلّ: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ}. (الرحمن 24)،

المشبه: السفن الجارية في البحر.

المشبه به: الجبال الراسيات

وجه الشبه: القوة والضخامة. والغرض من التشبيه هو إخراج ما لا قوة له في الصفة–وهي السفن–إلى ما له قوة فيها–وهي الجبال–، لأن صفة القوة في الجبال أوضح من صفة القوة في السفن. والجامع بين الأمرين العظم. والفائدة من هذا التشبيه البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.

وعلى هذا الوجه يجري أكثر تشبيهات القرآن، وهي الغاية في الجودة، والنهاية في الحسن[25]. وما أكثرها.

الإفادة منها في تدريس البلاغة العربية لغير العرب

أولاً: الطريقة السائدة في تدريس البلاغة

كما قلت سابقاً أن البلاغة تكمن في اللغة، أو بمعنى أدق؛ تكمن في التعبير اللغوي من تخيّرٍ للألفاظ والكلمات الدالة على المعنى المقصود. كما يقول الهاشمي[26]: *"البلاغة فنّ من الفنون التي تعتمد على الاستعداد الفطري السليم، ودقة إدراك الجمال، فهي ليست في اللفظ وحدها وليست في المعنى وحده، وإنما هي كلام حيٌّ روحه المعنى وجسده اللفظ، ولا قيمة لأحدهما دون الآخر."*. نستخلص من هذا أن البلاغة لا تخرج عن كونها فناً من فنون التذوق اللغوي، يتذوقه مَن له إلمام باللغة العربية ورونقها وبريقها بما تحمله من صور فنيةٍ وأخيلة وعبر وعظات إلخ..، والذين اعتادوا قراءة لغة الشعراء والخطباء والكتاب، وفوق هذا وذاك لغة القرآن الكريم، يدركون هذا الفن جيداً.

ولهذا ينبغي أن تدرس البلاغة من خلال النص الأدبي، شعراً كان أو نثراً، حبذا النص القرآني الذي فاق جميع النصوص في فصاحته وبلاغته. فالبلاغة ليست قواعد مستقلة بذاتها، وإنما هي حِلية من حُلِيّ اللغة المكتوبة والمقروءة والمسموعة. ولكن الذي يحدث في تعليم اللغة العربية أن البلاغة تدّرس كمادة مستقلة، مثلها مثل النحو والصرف، وبذلك يكون عنصر التذوق اللغوي للنصوص المدروسة مفقوداً لدى الدراسين، سواء أكانوا ناطقين بالعربية أم بغيرها. يقول الهاشمي: *"تواجه البلاغة العربية اليوم اختبارا صعباً لا يمكنها تجاوزه إلا بالاستفادة من الدراسات اللغوية المعاصرة في مجال النقد والتخلص من الجمود الذي أصابها في العصور المتأخرة وحولها إلى قواعد ثابتة وتعريفات جاهزة ومصطلحات جافة لا تُنمّي ذوقاً، ولا تثير إحساساً بالجمال"*. هذا حال البلاغة في تدريسها للناطقين باللغة العربية، فما الحال إذا كانت تدرّسُ للناطقين بغير العربية؟ لا شك أن تدريسها يكون سطحيا جدا، والدارسون قطعاً لا يتذوقون، بل لا يشعرون بجمال اللغة، لأن الشعور بجمال اللغة مرهون بفهم النص وإدراك الظروف والبيئة والمناسبة التي قيلَ فيها، فضلا عن معرفة قواعد اللغة وفهمها فهماً جيداً، نحواً وصرفاً، ومعنًى. ويؤكد هذا العطاس فيقول: *" لا يفتقر دارس البلاغة من الناطقين بالعربية لكي يتكون لديه ذوق بلاغي إلا إلى عنصرين أساسيين، الأول الاطلاع الواعي على النصوص الأدبية الرفيعة ممثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر*

[25] للمزيد يرجى الرجوع إلى: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام (1976) القاهرة: دار المعارف، ص 81–85.

[26] الهاشمي، عبد الرحمن عبد علي والعزاوي، فائزة محمد فخري (2005). تدريس البلاغة العربية؛ رؤية نظرية تطبيقية محوسبة. عمان: دار المسيرة، ص 168.

والنشر البليغين على توالي العصور، والثاني حفظ قدر كافٍ من ذلك التراث بعد الوقوف على مقتضيات الأحوال التي انبثق عنها الشعر والنثر الفني. أمّا دارس البلاغة من الناطقين بغير العربية، فله مشكلة أخرى خاصة به، وهي مشكلة جهله بالثقافة العربية. ذلك أن أي محاولة لفهم النصّ الأدبي وإدراك بلاغته دون الوقوف على الثقافة العربية الإسلامية محاولة فاشلة، ولعل ما يقدم للدارس من موضوعات القراءة في قسمي تعليم اللغة العربية وقسم التخصص اللغوي والتربوي يحقق جانباً من ذلك. لكن لا بدّ من العيش في بيئة إسلامية عربية؛ لمعرفة القيم والعادات والتقاليد ونظم الحياة، والاستماع إلى اللغة العربية من أهلها ومن أجهزة الإعلام العربية المرئية والمسموعة، وممارسة اللغة من خلال التعامل بها مع أهلها[27]. فليس الأمر بالهين للناطقين بغير العربية أن يدركوا كُنهَ البلاغة العربية من خلال النصّ العربي إلا إذا فهموا النص ذاته –من جميع جوانبه–فهماً عميقاً. وهذا أمر فيه من المشقة ما فيه.

وقد لاحظ الباحث خلال تدريسه البلاغة للطلبة الأجانب المتخصصين في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية بكلية التربية، الجامعة الإسلامية العالمية على مدى 10 سنوات، أن أن عنصر التذوق اللغوي مفقود تماماً. وذلك لأسباب عدة، منها:

أن الطلبة يدرسون؛ لينجحوا فقط.

أن البلاغة تدرس منفصلة عن النصّ الأدبي–نظماً أو نثراً. وتدرّس كمفاهيم ومصطلحات فقط، مع الاستشهاد بنصوص بعضها من القرآن الكريم، وبعضها من الأدب العربي القديم، لم يسبق لهم دراستها؛ مما يصعب على الطلاب فهمها والقياس عليها، أو الإتيان بمثلها.

لا يتمُّ ربط البلاغة ببيئة الطالب، ولا بالواقع المعايَش، مما يجعله يشعر بأنه يدرس مادة علمية جامدة ومجردة.

لا يوجد ربط أو مقاربة بين مقرر البلاغة ومقرر الأدب والنصوص، فكلٌّ يُدرسُ بمعزل عن الآخر. مع أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنص، أيًّا كان نوعه، ومرتبطة بفهمه من جميع جوانبه–النحوية، والسياقية، والدلالية، والفنية، والجمالية إلخ.

المقررات البلاغية التي يدرسها الطلاب الماليزيون في المرحلة الثانوية عبارة عن نماذج بسيطة جدا، وتدرس منفصلة عن أي نصوص أدبية. ويبدأ تدريسها من السنة الرابعة الثانوية، ويتضمن المنهج – اللغة العربية للسنة الرابعة–المفاهيم البلاغية الآتية: البلاغة وعلومها، أركان التشبيه وأنواعه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة، المجاز المرسل. أما في السنة الخامسة فيتضمن المقرر –اللغة العربية للسنة الخامسة– المفاهيم الآتية: الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي، السجع، الجناس، الاقتباس، الطباق، المقابلة[28]. أما مقررات البلاغة للثانوية الدينية، فهي مقررات موضوعة لدارسين ناطقين باللغة العربية، مثل مفتاح البلاغة، والبلاغة الواضحة، وهذا لا يتناسب مع طلبة ناطقين بغير العربية، فضلاً عن أنهم، في تلك المرحلة، لم يدرسوا الأدب العربي دراسة كافية تؤهلهم لإدراك جماليات اللغة، والتذوق الفني للنصّ المدروس.

[27] العطاس، عبد الله بن أحمد (1424هـ). دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية. مقال منشور في مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ج15، ع 26 صفر 1424هـ، ص 786.

[28] راجع كتب اللغة العربية المقررة على طلبة الثانوية الوطنية الماليزية، وهي سلسلة مكونة من خمسة كتب: اللغة العربية للسنة الأولى، واللغة العربية للسنة الثانية، واللغة العربية للسنة الثالثة، واللغة العربية للسنة الرابعة، واللغة العربية للسنة الخامسة. مقررات السنوات الثلاث الأولى تخلو من المفاهيم البلاغية.

هذا هو الواقع الحقيقي للبلاغة العربية بين يدي الناطقين بلغات أخرى غير العربية، والمتخصصين في تدريس اللغة العربية بوصفها لغة ثانية بكلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا. وربما يكون تدريسها بنفس الطريقة ونفس المنهاج اقتداء بتعليمها للناطقين باللغة العربية في البلاد العربية.

ثانيا: الإفادة من النص القرآني في تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية

للإفادة من النص القرآني في تدريس البلاغة، خصوصا فيما يتعلق بالبيان والبديع، فإنني أقترح التالي:

أولاً: اختيار آيات من القرآن الكريم تتضمن تشبيهات واستعارات وكنايات ومحسنات بديعية.

ثانياً: شرح هذه الآيات شرحاً مفصلاً لتوضيح كل ما تحمله من معانٍ وقيمٍ لغوية وأخلاقية، وأوامر أو نواهٍ، وأحكامٍ شرعية وفقهية، ودلالات لفظية إلخ. وبعد أن يفهم الطلبة الآية/ الآيات فهما جيدا يتم لهم شرح الصور البيانية التي تتضمنها.

ثالثا: إذا اختيرت شواهد من النصوص الأدبية فلتكن لها علاقة بقضايا تمسّ حياة المجتمعات المعاصرة. ويفضل أن تكون متصلة بمجتمع الدارسين وبيئتهم. حبذا لو كانت نصوصاً من لغة الدارسين غير العرب إن وجدت، بشرط أن تكون مترجمة للغة العربية، لأن ذلك يساعد الدارسين على إدراك بلاغة النص، وعاطفته الوجدانية.

رابعاً: يتوجب اختيار المعلمين الذين يكلفون بتدريس البلاغة من ذوي الكفاءات العلمية الْمُلِمّة باللغة العربية من جميع جوانبها؛ النحوية والصرفية، والسياقية، والأدبية، والبلاغية، مما يؤهله إلى إزجاء الذوق اللغوي والبيان الفني للغة إلى طلابه.

الخاتمة

إن أي لغة تخرج عن النطاق الثقافي والجغرافي للمتحدثين بها، تحتاج إلى منهاجٍ تعليمي يناسب البيئة الجغرافية والثقافية التي تنتقل إليها، مع عدم الإخلال بثقافة اللغة وقوالبها الأساسية، وإنما توضع في سياقات جديدة تتناسق مع البيئة الثقافية والجغرافية لمتعلميها من غير الناطقين بها. واللغة العربية –خصوصا النصوص الأدبية وما تشتمل عليه من بلاغة–عندما تُعَلّمُ خارج مَوْطِنها تحتاج إلى تطويع نفسها مع ثقافة وبيئة متعلميها الأعاجم، ليتثنى لهم استيعاب كُنْهِها ومكنونها من قواعدَ، وأساليبَ، وتراكيبَ، ومعانٍ، ومبانٍ، وصور فنية، وأخيلة، ومجازات وحقائق. ولا يتحقق هذا إلا من خلال إعداد مناهج خاصة، تلبي حاجات ورغبات متعلميها من غير الناطقين بها، عن طريق ربطها بالدين، والبيئة والثقافة التي اعتادوا عليها، وهذا يتطلب جهودا متضافرة من المهتمين والقائمين على تعليم اللغة العربية لغير العرب. *والله ولي التوفيق.*

المصادر

أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين (نسخة إلكترونية في دي إف على الموقع التالي: PDF: www.al-mostafa.com) صـ 158-159.

أبو العدوس، يوسف (2007). التشبيه والاستعارة. عمان، دار المسيرة. صـ 86-87.

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام (1976) القاهرة: دار المعارف، ص 81-85.

جمعي، الأخضر (2001). **اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب. مش:** من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 100.

حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد (2014م). **استثمار اللغة العربية في تذوق بلاغة القرآن الكريم؛ دراسة تحليلية لنماذج من الآيات القرآنية**. المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية المنعقد في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 7-10 مايو 2014م، صـ 555-565 المجلد السابع.

الخطيب القزويني (2003). **الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع**. تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، صـ 168-170.

سمك، محمد صالح (1979). **فنّ التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص 801-803.

ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة: دار المعارف. ص9

عبد الرحيم، علي يحي نصر (2014). **نحو توظيف لمفاهيم البلاغة العربية في الدعاية والإعلان**. المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية المنعقد في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 7-10 مايو 2014م، صـ 478-490 المجلد الثاني.

العطاس، عبد الله بن أحمد (1424هـ). **دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية**. مقال منشور في مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ج15، عدد 26، صفر 1424هـ، ص 786.

عمار، سام (2002). **اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية**. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص219.

المبارك، مازن (1968، ط1). **الموجز في تاريخ البلاغة**. بيروت: دار الفكر، صـ 23-24.

محمد، عاطف فضل (2011). **البلاغة العربية**. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. ص20.

مت ناوي بن مت جوسه وآخرون (2012م) **اللغة العربية للسنة الرابعة**. أرس ميك (م) سنديرين برحد. سيلانجور، ماليزيا.

نور عينا صبرية بنت مت عيسى وآخرون (2012م). **اللغة العربية للسنة الخامسة**. جرديق رينا سنديرين برحد. شراس، كوالا لمبور.

الهاشمي، عبد الرحمن عبد علي والعزاوي، فائزة محمد فخري (2005). تدريس البلاغة العربية؛ رؤية نظرية تطبيقية محوسبة. عمان: دار المسيرة، ص 168.

نموذج لتدريس موضوع التشبيه
من خلال النص القرآني

{{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآَصَالِ (36) رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) }} (من سورة النور: 36-40)

اليوم: ... **التاريخ:** الهجري...

الميلادي ....

المادة: لغة عربية/بلاغة

الموضوع: التشبيه.

الحصة: .....

الهدف العام: تمكين الطلاب من كشف أسرار اللغة العربية وما تحمله من تشبيه وصور فنية وأخيلة وإيحاءات.

الأهداف الخاصة / السلوكية: في نهاية الدرس يستطيع الطلاب:

فهم لغة النص فهما جيداً، معنىً ومبنىً، أسلوباً ودلالةً.

معرفة التشبيه وأركانه وأنواعه وأغراضه.

-معرفة المواطن التي تستوجب التوضيح من خلال تشبيه المعقول بالمحسوس والعكس.

- استخدام التشبيه وفقاً لما تقتضيه الحالة التي يلقى فيها الكلام.

معلومات الطلاب السابقة: لم يسبق للطلاب دراسة التشبيه من خلال النص القرآني.

الوسائل المعينة:

السبورة، أياًّكان نوعها. حسب ما هو متاح في غرفة التعليم.

النص من مصدره الأصلي.

الحاسوب؛ الثابت أو المحمول.

جهاز العرض الضوئي.

لوحة إضافية مع الأقلام الخاصة بالكتابة عليها.

خطوات الدرس:

التمهيد:

المعلم يمهد للدرس بإلقاء بعض الأسئلة على الطلاب لتهيئة أذهانهم لتلقي الدرس الجديد مثل: هل منكم من اعتاد قراءة القرآن الكريم يوميا؟ هل واجه صعوبة في فهم معنى الآيات التي يقرأها؟ هل لاحظ أي تشبيه فيما يقرأ؟ هل استدعى انتباهه أي تصوير فني أو خيالي أثناء القراءة؟ ومن خلال إجاباتهم يوضح المعلم للطلاب موضوع الدرس. **"التشبيه"**

العرض:

يعرض المعلم النص القرآني المذكور أعلاه على شاشة العرض الضوئي إن كانت متوفرة في غرفة الدراسة، أو يعرضه على الطلبة من المصحف مباشرة.

يقرأ المعلم النص على الطلاب قراءة نموذجية، مراعياً فيها أحكام التلاوة.

يطلب المعلم من بعض الطلبة قراءة النص، والباقون يستمعون، ويقوم المعلم بتصويب القراءة حتى يتأكد من صحة النطق وتطبيق أحكام التلاوة.

يناقش المعلم مع الطلبة معاني المفردات الواردة في النص مثل:

المفردة	معناها
بُيُوت	جمع بيتٍ، والمقصود بها المساجد
أَذِنَ الله	أَمَرَ اللهُ
أن تُرْفَعَ	أنء تُبْنَى وتُشيَّدُ، وأن يُعْبَدَ فيها الله تعالى .
الغُدُوّ	الصباح، يعني أول النهار.
الآصَال	جَمْعُ أَصِيلٍ وهو آخر النهار وبِدَايَةُ اللَّيْل
رِجَالٌ	جمع رَجُل
لا تُلْهِيهِم	لا تَشْغَلُهُم
تَتَقَلَّب	تَضْطَرِبُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْف
سَرَاب	هو ما يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ خصوصا عندما تكون الشمس ساطعة والجو حاراً
قِيعَة	الأَرْضُ الْمُسْتَوِيَة
الظَّمْآن	الشَّخْصُ الْعَطِش الذي يريد الماءَ لِيَرْوِيَ عَطَشَه.
بَحْرٍ لُجِّيّ	بحرٍ عَمِيق

بعد شرح معاني المفردات مع الطلبة، يناقشهم المعلم في المعنى العام للآيات مثل:

ما البيوت المعنية في الآية الكريمة (في بيوت أذن الله.)؟

في أي وقت يكون التسبيح في البيوت المذكورة؟

مَنْ الذين يسبحون؟

مِنْ أيّ شيء يخافون؟

بأي شيء شَبَّهَتْ الآيَةُ أَعْمَالَ الذِينَ كَفَرُوا؟

بعد المناقشة البسيطة مع الطلبة حول المعاني التي تحملها الآيات يذكر لهم المعنى العام من النص المذكور.

في بيوت أمر الله أن تبنى وتشيد لِيُعْبَدَ فيها الله–تعالى – بذكره، وتسبيحه، وتحميده، وتلاوة القرآن ومدارسته، وأن يُصَلَّى فيها أول النهار وآخره، وأن يعبده في هذه الأماكن الطاهرة رجالٌ لا تشغلهم الدنيا ببهجتها وزخرفها عن طاعة الله تعالى، ولا يشغلهم البيع ولا الشراء ولا التجارة، عن الصلاة والزكاة وذكر الله تعالى، رجالٌ يخافون يومًا رهيباً، تضطرب فيه قلوب الخلائق وأبصارهم. هؤلاء يثيبهم الله–تعالى –على ما عملوا في الدنيا بأحسن الجزاء، ويعطيهم عطاء واسعا بلا عدٍّ ولا حدٍّ.[29]

أما الذين لا يؤمنون بالله ويعملون خيراً، مثل صلة الأرحام، وإطعام الفقراء والأيتام والمساكين، وغير ذلك من أعمال الخير، ويحسبون أنهم يثابون عليها، فهي تشبه السراب الذي يراه الإنسان في الصحراء، فيظن أنه ماء، فإذا وصل إليه لم يجد شيئا، فعظمت خيبته وحسرته، ووجد الله تعالى له بالمرصاد، فوفّاه جزاء عمله. وكذلك تشبه الظلمات المتكاثفة المتراكمة فوق بعضها، في بحر عميق لا يدرك قعره، يعلوه موج متلاطم بعضه فوق بعض، وفوق ذلك الموج سحاب كثيف، اجتمعت عليه ظلامات ثلاث (ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب)، حتى لا يكاد الإنسان لا يرى يده من شدة هذه الظلمات.

الصورة البلاغية في الآيات المذكورة.

الكنايات

" في بيوت أذن أالله أن ترفع."كناية عن المساجد ودور العبادة.

"يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار"كناية عن يوم القيامة، وشدة الهول الذي يكون فيه.

التشبيه

[29] راجع الصابوني، محمد علي (2008، ط9). التفسير الواضح الميسر. الأفق للطباعة والنشر. بيروت: لبنان. ص 875-877.

" والذين كفروا أعمالهم سرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماء ... إلخ الآية"، تشبيه تمثيل، وأركانه كما يلي:

المشبه: هيئة أعمال الكفار وقد بدت لهم في صورة جميلة لكنها في الحقيقة باطلة لا ثواب لها يوم القيامة.

المشبه به: صورة السراب اللامع في صحراء واسعة يظنه الرائي الظمآن ماء، فيجهد نفسه في طلبه ليروي ظمأه، فلا يجد شيئا مما كان يرى.

وجه الشبه: بطلان المتوهم مع شده الحاجة إليه، وعظم الفاقة، والحسرة في النفوس على فوات المأمول.

نوع الشبيه: تمثيلي

فأعمال الكفار شيء معنوي–المقصود ليس الأعمال في حد ذاتها بل جزاء الأعمال–لا تقع عليها أي حاسة من الحواس الخمس، وقد شُبِّهَت بالسراب الذي يدرك بحاسة البصر، وهو عبارة عن ماء وهمي تسببه حرارة الشمس، فيظهر للإنسان وكأنه ماء حقيقي، لكن لا يمكن الوصول إليه ولا الحصول عليه.

فالتشبيه في هذه الآية الكريمة أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، والمعنى الذي يجمع بينهما بطلان المتوهم من شدة الحاجة إليه. فالظمآن يحتاج إلى الماء ليروي ظمأه، والإنسان يحتاج إلى عمله لينقذه من العذاب، فالكافر بربه يعمل أعمالاً كثيرة لكنه لا يتحصل منها شيئا ينفعه كالظمآن الذي يرى الماء أمامه لكنه لا يتحصل عليه لأنه سراب. ومثل هذا في الآية الثانية: "**أو كظلمات في بحر لجي** ...." حيث شبه أعمال الكفار بالظلام الدامس الناتج عن تراكم السحب بعضها فوق بعض بحيث لا يرى الشخص حتى يديه. والجامع بين أعمال الكفرة وبين الظلام هو الهلاك، فكما أن الكافر في أشدّ الحاجة إلى عمله لينقذه من العذاب، فكذلك الغارق أو السابح في لجج البحر وسط الظلام لا يرى شيئاً، ولا يعرف له وجهة، يكون في أشدّ الحاجة إلى من ينقذه فلم يجد.

الاستنتاج:

تضمنت الآيات المذكورة أعلاه وصف صنفين من الناس؛ صنف مؤمن، يعبد الله تعالى صباحاً ومساء، لا تشغله الدنيا عن ذكر ربه، فيثيبه الله تعالى أحسن الثواب. وصنف كفر بربه، وظن أنه بعمله الخير في الدنيا سيجد أثره في الآخرة، وينجو من العذاب، لكنه يفاجأ بعدم وجود أي أثر لما قام به من أعمال الخير في الحياة الدنيا. وقد شبهت الآية جزاء أعمال الكفار–وهو شيء معقول لا يدرك بالحواس–بشيء محسوس وهو السراب الذي يدرك بحاسة البصر، أثناء السير نهاراً في أرض منبسطة.

والغرض من تشبيه المعقول بالمحسوس هو تقريب المعنى وتوضيح صورته للناس، حتى يعلموا أن الأساس في الجزاء على الأعمال هو الإيمان بالله تعالى.

التقويم:

يُقوِّمُ المعلمُ فهم الطلاب للدرس بإلقاء بعض الأسئلة، مثل: عين عناصر التشبيه والغرض منه في الآيتين التاليتين:

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت 41).

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة:5)